مقال مراجعة موضوع

السنة النبوية وترشيد الاستهلاك في العصر الحديث: مراجعة تحليلية للدراسات المعاصرة في مكافحة الإسراف

م.م ماريه قحطان قدوري
جامعة الانبار / كلية التربية للبنات

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

تُمثلُ قضية ترشيد الاستهلاك من القضايا المجتمعية المعاصرة التي حظيت اهتمامًا ملحوظا نتيجة التوسع في أنماط الحياة الاستهلاكية وما نتج عنه من آثار اقتصادية واجتماعية وبيئية متعددة.

وقد جاء الإسلام بمنهج قائم على الوسطية والاعتدال في إدارة الموارد والانتفاع بالنعم ، وجاءت السنة النبوية بجملة من التوجيهات التي تعالج مظاهر الإسراف والتبذير وتسهم في بناء سلوك استهلاكي رشيد يحقق مقاصد الشريعة في حفظ المال وتحقيق المصلحة العامة.

وقد تناولت الدراسات الحديثة موضوع الاستهلاك من منظور اقتصادي واجتماعي وتنموي متعدد، إلا أن جانب التأصيل الحديثي للمضامين التوجيهية النبوية المتعلقة بترشيد الاستهلاك لايزال يتطلب مراجعة تحليلية تُبرز أبعاد المعالجة النبوية ومدى امكانية تطبيقها في الواقع المعاصر.

وتنبع أهمية هذا المقال كونه يسعى إلى مراجعة وتحليل الدراسات المعاصرة التي تناولت مكافحة الإسراف في ضوء السنة النبوية، وتوضيح أبرز الاتجاهات البحثية فيها، وبيان الجوانب التي تحتاج إلى مزيد من الدراسة والتطبيق في الواقع المجتمعي.

وتتمثل إشكالية الدراسة في التساؤل الآتي:

إلى أي مدى أسهام الدراسات السابقة في إبراز دور السنة النبوية في ترشيد الاستهلاك ومكافحة الإسراف؟كما تهدف الدراسة إلى:

-توضيح مفهوم ترشيد الاستهلاك في السنة النبوية

-تحليل اتجاهات البحث في الدراسات المعاصرة المتعلقة بمكافحة الإسراف

-عرض التطبيقات العملية للتوجيهات النبوية في الواقع المعاصر

-اقتراح آفاق بحثية مستقبلية تخدم المجال

الدراسات السابقة :

الدراسة الاولى:

أيمن مصطفى الجمل، «ترشيد الاستهلاك وأثره في مواجهة الأزمات المعيشية من منظور الفقه الإسلامي»، مجلة كلية الشريعة والقانون بطنطا، مج٣٨، ع٣، ٢٠٢٣

هدفت الدراسة إلى بيان أهمية ترشيد الاستهلاك بكونه من الخطابات الشرعية المؤثرة في مواجهة الأزمات المعيشية المعاصرة، وانبثقت من الاسس الفقهيه لمفهوم الاستهلاك الرشيد وعلاقته بمنع الإسراف والتبذير والمحافظة على الموارد.

كما عرضت الدراسة وسائل ترشيد الاستهلاك وأثرها في التخفيف من آثار الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، وقد قسّم الباحث الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسة: التعريف بالمفاهيم، ووسائل ترشيد الاستهلاك، ثم أثره في مواجهة الأزمة المعيشية.

التعقيب على الدراسة:

تسعى الدراسة في بيان البعد الفقهي لترشيد الاستهلاك وربطه بالمقاصد الشرعية ومعالجة الأزمات المعيشية، إلا أن تركيزها كان منصبًا على المنظور الفقهي والاقتصادي أكثر من اهتمامها بالتحليل الحديثي للنصوص النبوية.

بينما تتميز الدراسة الحالية (السنة النبوية وترشيد الاستهلاك في العصر الحديث: مراجعة تحليلية للدراسات المعاصرة في مكافحة الإسراف) بالتركيز على استخراج التوجيهات النبوية وتحليلها وربطها بالتطبيقات الاستهلاكية المعاصرة، مع مراجعة نقدية للدراسات الحديثة واظهار ما أضافته وما لم تتناوله.

الدراسة الثانية

محمد زاهر الزهران، «الحث على ترشيد الموارد الاستهلاكية في السنة النبوية: دراسة موضوعية»، مجلة العلوم الإسلامية، المجلد (٧)، العدد (٤)، ٢٠٢٤

هدفت الدراسة إلى توضيح معالم ترشيد الاستهلاك في ضوء السنة النبوية، وابراز التوجيهات النبوية المرتبطة بالاعتدال في الاستهلاك والحد من الإسراف والتبذير، مع بيان الضوابط الشرعية والاقتصادية المرتبطة بذلك.

واعتمد الباحث المنهج الاستقرائي والوصفي من خلال جمع الأحاديث النبوية المتعلقة بترشيد الاستهلاك وتحليل مضامينها وربطها بالسياق الاقتصادي المعاصر.

كما بينت الدراسة مفهوم ترشيد الاستهلاك، والأحاديث الواردة في النهي عن الإسراف، ودور الاعتدال في تحقيق التوازن الاقتصادي والاجتماعي..

التعقيب على الدراسة:

تندرج هذه الدراسة ضمن الدراسات المرتبطة بموضوع البحث الحالي؛ لكونها تناولت ترشيد الاستهلاك في ضوء السنة النبوية واتبعت المنهج الموضوعي في جمع النصوص وتحليلها. إلا أن اهتمامها اتجه إلى التأصيل الموضوعي للتوجيهات النبوية وبيان أبعادها الشرعية والاقتصادية، في حين تسعى الدراسة الحالية (السنة النبوية وترشيد الاستهلاك في العصر الحديث: مراجعة تحليلية للدراسات المعاصرة في مكافحة الإسراف) إلى استنباط التطبيقات المعاصرة من الاحاديث النبوية في مجال الاستهلاك.

الدراسة الثالثة

محمود أحمد يعقوب رشيد، «قيم ترشيد الاستهلاك في السنة النبوية»، مجلة دراسات – علوم الشريعة والقانون، الجامعة الأردنية، مج٤٣ (ملحق)، ٢٠١٦

تناولت الدراسة بيان القيم التي أسستها السنة النبوية في ترشيد الاستهلاك، من خلال بيان مفهوم الاستهلاك الإيجابي ومظاهر الاستهلاك السلبي، ووضع معيار يساعد على قياس مقدار التزام المستهلك بهذه القيم، مع توضيح آثار الالتزام بها على الفرد والمجتمع.

كما بينت الدراسة دور هذه القيم في الحد من الإسراف والتبذير وتقليل الآثار الاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والبيئية الناجمة عن أنماط الاستهلاك غير الرشيد.

واستندت الدراسة على استقراء التوجيهات النبوية وتحليلها للوصول إلى إطار قيمي منظم للسلوك الاستهلاكي.

التعقيب على الدراسة:

تتفرد هذه الدراسة بتركيزها على البعد القيمي والأخلاقي لترشيد الاستهلاك في السنة النبوية، واظهار أثر القيم النبوية في ضبط سلوك المستهلك. إلا أن عنايتها انصرف إلى استخلاص القيم وبناء معيار سلوكي أكثر من اهتمامها بتحليل اتجاهات الدراسات المعاصرة .

بينما تسعى الدراسة الحالية إلى مراجعة وتحليل الدراسات الحديثة المتعلقة بترشيد الاستهلاك في ضوء السنة النبوية، وابراز أوجه الاتفاق والاختلاف بينها، والكشف عن آليات توظيفها في معالجة الإسراف المعاصر.

مفهوم ترشيد الاستهلاك في الاسلام

ترشيد الاستهلاك عبارة تتكوّن من كلمتين، هما: الترشيد والاستهلاك، ويمكن توضيح معناهما اللغوي على النحو الآتي:

الترشيد لغةً: تدلّ هذه الكلمة في معاجم اللغة على معنى الهداية والاستقامة والسير على طريق الصواب، بهدف تحقيق الغايات والأهداف المنشودة، فقد جاء في لسان العرب أن الرشيد هو الذي يرشد الخلق إلى مصالحهم، أي يهديهم ويدلهم عليها، ويُقال: أرشده الله إلى الأمر أي هداه إليه، وطلب الرشد هو طلب الهداية والصواب، ويُقال استرشد فلان إذا طلب الهداية في أمره[١].

والاستهلاك لغةً: هو مصدر الفعل استهلك، ويُقال استهلك الشيء إذا بذل جهده فيه أو أنفقه وأنهاه، سواء كان مالاً أو طعاماً أو متاعاً، ويُفهم منه أيضاً معنى الإتلاف أو الإنفاق حتى النفاد[٢].

اما تعريف الاستهلاك في الاصطلاح :.

فإن مضمون المدلول الاقتصادي للاستهلاك أشار إليه جَمْعٌ من علمائنا رحمهم الله، ومنهم: يقول الإمام الكاساني معرفًا الاستهلاك: هو إخراج الشيء من أن يكون منتفعًا به منفعة موضوعة له مطلوبة منه عادة[٣].

وقال آخر: "هو إتلاف المال في منفعة الإنسان[٤].

وجاء في ندوة "مشكلات البحث في الاقتصاد الإسلامي:والاستهلاك يوجد في نصوص القرآن والسنة تحت عنوان الإسراف والتبذير[٥].

وقد يكاد يتفق الباحثون في الاقتصاد الإسلامي على تعريف موحد للاستهلاك هو: التناول الانساني المباشر للسلع والخدمات، لإشباع رغبات الإنسان وحاجاته[٦]

ومع اضافة اللفظتين يمكن تعريف ترشيد الاستهلاك اصطلاحا من ناحيتين:

أولاً: من الناحية السلوكية

يُقصد به ذلك المفهوم الذي يقوم على تنظيم وتنسيق عملية إشباع حاجات الإنسان ورغباته بطريقة متوازنة، دون إفراط أو تجاوز أو ظلم[٧]..

ثانياً: من الناحية القيمية

هو منظومة من المبادئ العقدية والأخلاقية التي تُسهم في تكوين سلوك استهلاكي واعٍ، يضبط تصرفات الفرد ويجعله أكثر التزاماً بالاعتدال والرشاد[٨].

الأحاديث النبوية الدالة على ترشيد الاستهلاك

تُعد السنة النبوية المصدر الأساسي الذي أسس لمبدأ ترشيد الاستهلاك من خلال مجموعة من التوجيهات القولية التي تضبط السلوك الاستهلاكي وتمنع الإسراف والهدر، ومن أبرزها:

أولا : احاديث التحذير من الإسراف في الماء والطعام

كان النبي ﷺ ينفر من الإفراط في تناول الطعام، ويحذّر من الوقوع في الإسراف فيه، كما كان يدعو إلى الاعتدال في الأكل والشرب والنفس، بما يحقق التوازن في سلوك المسلم اليومي. وقد ورد عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة)[٩].«

وقد جاء عن النبي ﷺ انه مرّ بسعد رضي الله عنه وهو يتوضأ، فقال: «ما هذا السرف يا سعد؟» فقال سعد: أفي الوضوء سرف؟ فقال ﷺ: «نعم، وإن كنت على نهر جارٍ)[١٠]

ثانيا : حديث الاعتدال في الانفاق

ويتجلى هذا المعنى في دعاء النبي ﷺ: (وأسألك القصد في الفقر والغنى)[١١].«

قال ابن رجب رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: إن النبي ﷺ كان ملازمًا لمنهج الاعتدال في مختلف أحواله، سواء في زمن الفقر أو الغنى، فلم يكن يميل إلى الإسراف في الإنفاق بما يرهق نفسه فوق طاقتها، كما لم يكن يتشدد في الإمساك خوفًا من انقطاع الرزق، وإنما كان سلوكه قائمًا على التوسط والاقتصاد[١٢]..وبذلك يظهر أن منهجه ﷺ اتسم بالتوازن في التصرف المالي والإنفاقي دون إفراط أو تفريط.

.ثالثا : حديث النهي عن إضاعة المال

قال النبي ﷺ: «إن الله كره لكم قيل وقال، وإضاعة المال، وكثرة السؤال)[١٣]..«

ويُفهم منه تحريم إهدار المال ووجوب حسن استثماره وعدم تبديده،يقول الخطابي: (وأما قوله:)وإضاعة المال، فهي على وجوه، جماعها: الإسراف في النفقة، ووضعه في غير موضعه، وصرفه عن وجه الحاجة[١٤]..(

التطبيقات المعاصرة لترشيد الاستهلاك

يمكن ترجمة مفهوم ترشيد الاستهلاك المستنبط من التوجيهات النبوية إلى مجموعة من التطبيقات العملية في الواقع المعاصر، التي تهدف إلى الحد من الإسراف وتعزيز الاستخدام الرشيد للموارد الى :

اولا : ترشيد الاستهلاك الغذائي

يُقصد بترشيد الاستهلاك الغذائي تحقيق الاستخدام الأمثل للمواد الغذائية، من خلال الالتزام بالاعتدال والتوازن في الإنفاق وعدم الإسراف أو الإهدار، بما يسهم في الحفاظ على الموارد الغذائية وضمان إتاحتها لجميع أفراد المجتمع في ظل النمو السكاني المتزايد [١٥].

وهذا ما ينسجم مع مبادئ الاعتدال التي دعت إليها السنة النبوية.

ثانيا: ترشيد استهلاك المياه

يقصد بترشيد استهلاك المياه حسن استخدام كميات الماء المطلوبة في مجالات العبادة أو السقي أو التنظيف وغيرها، بما يحقق الغرض المقصود منها دون إسراف أو إهدار لأي مقدار من الماء مهما كان يسيرا[١٦].

ولا يقتصر مفهوم ترشيد الاستهلاك على تقليل الاستخدام، بل يقوم على حسن توظيف الموارد المائية وغيرها توظيفًا أمثل وسليمًا، بما يمنع هدر ما يزيد عن الحاجة ويمكن الاستغناء عنه بسهولة ودون إلحاق ضرر, ويُعد هذا المفهوم توجهًا عالميًا تتبناه العديد من الدول المتقدمة. ومن المهم التأكيد على أن وعي الفرد ينبغي أن يتسع لإدراك أن المحافظة على المياه ليست مجرد خيار، بل تمثل مسؤولية أساسية ترتبط بالأمن العام، ويأتي الترشيد والاعتدال في استهلاك المياه ضمن هذه المسؤوليات الحيوية[١٧].

ثالثا: التوعية عبر وسائل الاتصال الحديثة.

تُعدّ الوسائل الإعلامية والإعلانية من أبرز الأدوات المؤثرة في المجتمع المعاصر، إذ أصبحت المتحكم الرئيس في الترويج للسلع والخدمات، والمسيطرة إلى حدّ كبير على قرارات المستهلكين، بما قد ينعكس سلبًا على أنماط الاستهلاك إذا لم يُوجَّه بشكل صحيح.

وفي المقابل، يمكن الاستفادة من الجوانب الإيجابية لهذه الوسائل في تعزيز الوعي الاستهلاكي، وتبصير الناس بأهمية ترشيد الاستهلاك، بوصفه ضرورة ملحّة في مواجهة الأزمات ويتحقق ذلك من خلال تبصير جمهور المستهلكين بأسباب ارتفاع الأسعار، وبيان الوسائل التي تسهم في كبح جماح هذا الارتفاع، ومن أهمها: الشراء بقدر الحاجة، والابتعاد عن الإسراف والتبذير[١٨].

وهذا ما يتوافق ما مع التوجيه النبوي في الحث على الاقتصاد في المعيشة وترك الإسراف.

رابعا-الرقابة الذاتية من قبل الدولة.

اقتضت الحاجة في العصر الحديث إلى تفعيل دور الرقابة الحكومية في تنظيم أنماط الاستهلاك والحد من مظاهر الإسراف، وذلك انطلاقًا من أن مسؤولية الدولة في ضبط السلوك الاستهلاكي تفوق مسؤولية الفرد، لما تمتلكه من أجهزة تنظيمية ومؤسسات رقابية قادرة على تطبيق السياسات الترشيدية ومتابعة تنفيذها[١٩] .

ويُعدّ هذا التوجه امتدادًا للمنهج الإسلامي في تحقيق التوازن ومنع التبذير، إذ جاءت السنة النبوية مؤكدةً على مبدأ الاعتدال في الإنفاق، حيث قال النبي ﷺ: (كلوا واشربوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة)، مما يدل على مشروعية كل ما يحقق ضبط الاستهلاك ويمنع التجاوز في الحاجة.

الخاتمة

يتبين مما سبق أن السنة النبوية ارست أسساً وضوابط واضحة لمفهوم ترشيد الاستهلاك، تقوم على الاعتدال والوسطية، والبعد عن الإسراف والتبذير، مما يجعلها مصدرا أصيلا في بناء السلوك الاستهلاكي السليم. كما يتضح أن هذا المفهوم لا يقتصر على الجانب التعبدي أو الأخلاقي فقط، بل يمتد ليشمل الجوانب الاقتصادية والبيئية والاجتماعية.

وقد خلصت الدراسة الى أن تطبيقات ترشيد الاستهلاك في العصر الحديث تشكل امتداداً عملياً للتوجيهات النبوية، من خلال تقليل الهدر، وحسن إدارة الموارد، وترسيخ مفهوم الاستهلاك الواعي في المجتمع.

وبناء على ذلك، فإن ترشيد الاستهلاك يمثل ضرورة ملحة في العصر الحديث وذلك من اجل تحقيق التوازن الاقتصادي والاستدامة البيئية، ويعكس أهمية استحضار الهدي النبوي في معالجة قضايا الإسراف في الواقع المعاصر..

١- لسان العرب : للإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، (٣/١٧٥)،

دار صادر . بيروت -..
٢- تهذيب اللغة لمحمد بن أحمد الأزهري الهروي، المتوفى٣٧٠ هـ، (٦/١٣)، تحقيق / محمد عوض مرعب –دار احياء التراث . بيروت- الطبعة الأولى، ٢٠٠١م، المعجم الوسيط (٢/٩٩١)، مجمع اللغة العربية، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، بدون تاريخ.
٣-الكاساني - بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، مطبعة الجمالية، مصر، ١٩١٠م ج١٤٩/٧
٤- د. محمد فوزي فيض الله - نظرية الضمان في الفقه الإسلامي العام، مكتبة التراث الإسلامي، الكويت، ص٨٦
٥- المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية- ندوة "مشكلات البحث في الاقتصاد الإسلامي" عمَّان ١٥ شعبان ١٤٠٦هـ، ص ١٣٤.
٦- ينظر: د. شوقي دنيا، النظرية الاقتصادية من منظور إسلامي، مكتبة الخريجي، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ص ٩١، ود. محمد عبد المنعم عفر - النظام الاقتصادي الإسلامي، دار المجمع العلمي، جدة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ، ص ١٥٧، ود. أمين مصطفى عبد الله - أصول الاقتصاد الإسلامي، دار الفكر الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ، ص ٣٥٥
٧- ترشيد الاستهلاك في الإسلام، د/ كامل صكر القيسي، ص،١٨ إدارة الشئون الإسلامية والعمل الخيري، دبي، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.
٨- قيم ترشيد الاستهلاك في السنة النبوية، د / محمود أحمد يعقوب رشيد، ص،١٦٤٦ بحث منشور بمجلة
كلية الشريعة، الجامعة الأردنية، المجلد الثالث والأربعون، الملحق الرابع ٢٠١٦م.
٩-ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب اللباس، باب في اللباس، ج٢، ص١١٩٨، رقم الحديث : ٣٦٠٥.
١٠-سنن ابن ماجه: كتاب الطهارة وسننها، باب الاقتصاد في الوضوء وكراهية الإسراف فيه، ج١، ص١٤٧، رقم الحديث : ٤٢٥
١١- رواه النسائي في السنن الكبرى، كتاب الاستعاذة، باب سؤال القصد في الفقر والغنى، ج٦، ص١٣٤، رقم الحديث : ١٠٣٥٩
١٢- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٢٢هـ، ج١ ص٦٢٧.
١٣-البخاري، صحيح البخاري، كتاب الاستقراض، باب ما ينهى من إضاعة المال، ج٦، ص١٦٩، رقم الحديث ٢٤٠٨.
١٤- أبو سليمان الخطابي، معالم السنن، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ، ٨٨/٣
١٥- العناني، أكرم. (٢٠٢٢). ترشيد الاستهلاك الغذائي. وزارة الزراعة واستصلاح الأراضي: قناة مصر الزراعية. متاح :.https:// u.pw/ECzcdlu
١٦- سلامة ، عبد الحميد إبراهيم ، مبادئ ترشيد استهلاك المياه في الفقه الإسلامي ، ص:٢٧٤.
١٧- التركي ، سعيد بن سويلم ، الماء وأهمية الترشيد لاستخداماته المختلفة ، ص١٩
١٨- الفجوة الغذائية وأثرها في في تفاقم الأزمة المعيشية من منظور الفقة الإسلامي، د/عبد الله فتحي ص،٤٧: م
١٩- َترشيد الاستهلاك الفردي، د/ منظور أحمد الأزهري، ص : ٢٤٠